

مذكوراً في السموات وفي الأمم كلها، أو دل قوله: أنزل الله إليكم نكراً علي أرسل فكانه قيل: أرسل رسولا أو أعمل نكراً في رسولا إعمال المصدر في المفاعيل. أي: أنزل الله أن نكر رسولا أو نكره رسولا، وقرئ: رسول على هو رسول. أنزل ﴿ليخرج الذين آمنوا﴾ بعد إنزاله أي: ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح لأنهم كانوا وقت إنزاله غير مؤمنين، وإنما آمنوا بعد الإنزال والتبليغ، أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون. قرئ: يدخله بالياء والنون ﴿قد أحسن الله له رزقا﴾ فيه معنى التعجيب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب.

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَنْزِلُ الْأَمْثِلَ بَيْنَهُنَّ لِيَتَلَمَّزُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٧﴾.

﴿الله الذي خلق﴾ مبتدأ وخبر. وقرئ: مثلون بالنصب عطفًا على سبع سموات، وبالرفع على الابتداء وخبره من الأرض. قيل: ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه. وقيل: بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وغلط كل سماء كذلك، والأرضون مثل السموات ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ أي: يجري أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن، وعن قتادة: في كل سماء وفي كل أرض من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل: هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره. وقرئ: ينزل الأمر. وعن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأل هل تحت الأرضين خلق؟ قال: نعم. قال: فما الخلق؟ قال: إما ملائكة أو جن ﴿لتعلموا﴾ قرئ: بالتاء والياء عن رسول الله ﷺ. «من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ﷺ»⁽⁵⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التحريم مدنية

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لِرِ حُرْمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ بَنِي مَرَاتِ أَرْوَجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾.

روي أن رسول الله ﷺ خلا بمارية في يوم عاشقة وعلمت بذلك حفصة فقال لها: اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي⁽⁶⁾ وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان

وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات كما قال: ﴿ومتوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾⁽¹⁾ وقرئ: ليفنق بالنصب، أي: شرعنا ذلك ليفنق. وقرأ ابن أبي عبيدة قدر ﴿سيجعل الله﴾ موعد لفقراء تلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج إن انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا.

وَكَايِنَ مِّنْ قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَنِّ أُمِّي رَيْبًا وَرُسُلِيهِ. فَحَاسَبْتَهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَدَّبْتُهَا عَذَابًا نَّكَرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبٌ أَمْرًا حُتْرًا ﴿٩﴾.

﴿عنت عن أمر ربها﴾ أعرضت عنه على وجه العتو والعناد ﴿حسابًا شديدًا﴾ بالاستقصاء والمناقشة ﴿عذابًا نكرًا﴾ وقرئ: نكر منكرًا عظيمًا، والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يتوقون فيها من الويل واليقون من الخسر. وجيء به على لفظ الماضي كقوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾⁽²⁾ ﴿ونادى أصحاب النار﴾⁽³⁾.

أَعَدَّ اللَّهُ لِمَنْ عَدَاكَ سُدُبُدًّا فَأَنْتُمْوَا اللَّهُ يَتَأَوَّلُ الْآلَتِبِ الْآلِيْنَ مَأْمَرًا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾.

ونحو ذلك لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد وقوله: ﴿أعد الله لهم عذابًا شديدًا﴾ تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبًا كأنه قال: أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك ﴿يا أولي الألباب﴾ من المؤمنين لطفًا في تقوى الله وحذر عقابه، ويجوز أن يراد حصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا، وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل. وأن يكون عنت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابًا لكأين.

رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَشِّرٍ لِّبُخْرٍ الْآلِيْنَ مَأْمَرًا وَعَلِيمًا الصَّالِحِيْنَ مِّنَ الْأُمَّلَتِ إِلَى الْأَنْوَرِ وَمِنَ بُوَيْنِ يَأْتِيهِمْ وَمَسَلَّ مَسِيْلًا يَدْخُلُهُ جَنَّتِ تَجْرِي مِّنْ حَتْمَتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِيْنَ فِيهَا أَبَا قَدْ أَسْمَنَ اللَّهُ لَمْ رَقًا ﴿١١﴾.

﴿رسولاً﴾ هو جبريل صلوات الله عليه أبدل من نكرًا لأنه وصف بتلاوة آيات الله فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر⁽⁴⁾ فصح إبداله منه، أو أريد بالذكر الشرف. من قوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ فأبدل منه كأنه في نفسه شرف إما لأنه شرف للمنزل عليه، وإما لأنه نو مجد وشرف عند الله كقوله تعالى: ﴿عند ذي العرش مكين﴾ أو جعل لكثرة نكره لله وعبادته كأنه نكر أو أريد ذا نكر أي: ملكًا

(6) قال احمد: ما اطلقه الزمخشري في حق النبي ﷺ تقول وافترأه، والنبي ﷺ منه براء، وذلك أن تحريم ما أحله الله على وجهين، اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه، فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمة الله عز وجل، وكلاهما محظور لا يصدر من المتسمين بسمة الإيمان، وإن صدر سلب المؤمن حكم الإيمان واسمه. الثاني: الامتناع مما أحله عز وجل وحمل التحريم بمجردة صحيح، لقوله: ﴿وحرمتنا عليه المراضع من قبل﴾ أي: منعنا لا =

(1) سورة البقرة، الآية: 236.

(2) سورة الاعراف، الآية: 44.

(3) سورة الاعراف، الآية: 50.

(4) قال احمد: وعلى هذين الوجهين الأخيرين يكون مفعولاً، إما بالفعل المحنوف أو بالمصدر، وعلى الاربعة المتقدمة بدلاً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(5) الثعلبي وابن مروييه والواحدي في تقاسيرهم زيلعي 55/4.

فإن قُلْتُمْ: ما حكم تحريم الحلال؟ قُلْتُمْ: قد اختلف فيه فابو حنيفة يراه يميناً في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حَرَمَ طعاماً فقد حلف على أكله، أو أمة فعلى وطئها، أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار فظهار، وإن نوى الطلاق فطلاق بائن، وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثاً فكما نوى. وإن قال: نويت الكذب بين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء، وإن قال: كل حلال عليّ حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى. ولا يراه الشافعي يميناً ولكن سبباً في الكفارة في النساء وهدهن وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده. وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم أنّ الحرام يمين⁽⁷⁾، وعن عمر إذا نوى الطلاق فرجعي، وعن علي رضي الله عنه ثلاث⁽⁸⁾، وعن زيد واحدة بائنة. وعن عثمان ظهار. وكان مسروق لا يراه شيئاً ويقول: ما أبالي أحرمتها أم قصعة من ثريد، وكذلك عن الشعبي قال: ليس بشيء محتجاً بقوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾⁽⁹⁾ وقوله تعالى: ﴿تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم﴾⁽¹⁰⁾ وما لم يحرمه الله تعالى فليس لأحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراماً. ولم يثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: لما أحله الله هو حرام عليّ وإنما امتنع من مارية ليمين تقدّمت منه وهو قوله عليه السلام: «والله لا أقربها بعد اليوم». فقيل له: لم تحرم ما أحلّ الله لك، أي: لم تمتنع منه بسبب اليمين. يعني: قدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى: ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾⁽¹¹⁾ أي

بعدي أمر أمّتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين⁽¹⁾ وقيل: خلا بها في يوم حفصة فأرضاهما بذلك واستكتهما فلم تكتم⁽²⁾ فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية⁽³⁾ وروي أنّ عمر قال لها: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال: راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة⁽⁴⁾ وروي أنه شرب عسلاً في بيت زينب بنت جحش فتواطت عائشة وحفصة فقالتا له: إنا نشم منك ريح المغاير وكان رسول الله ﷺ يكره التفل فحرم العسل⁽⁵⁾ فمعناه: ﴿لم تحرم ما أحلّ الله لك﴾ من ملك اليمين أو العسل و﴿تبتغي﴾ إما تفسير لتحرم أو حال أو استثناء وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحلّ الله لأنّ الله عزّ وجلّ إنما أحلّ ما أحلّ لحكمة ومصصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة ﴿والله غفور﴾ قد غفر لك ما زلت فيه ﴿رحيم﴾ قد رحمك فلم يؤاخذك به.

قَدْ رَضِيَ اللَّهُ لَكُمْ نِكَاحًا وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْكَرِيمُ ﴿٦﴾

﴿قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم﴾ فيه معنيان: أحدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في إيمانكم من قولك: حل فلان في يمينه، إذا استثنى فيها. ومنه حلاً بيت اللعن بمعنى استثنى في يمينك إذا أطلقها وذلك أن يقول: إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث. والثاني قد شرع الله لكم تحلتها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام: لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم⁽⁶⁾. وقول ذي الرمة: قليلاً كتحليل الألي.

- (1) الطبراني في معجمه.
- (2) قال الزيلعي غريب. ورواه ابن أبي خيثمة في تاريخه وابن سعد في الطبقات ثم ساق الحديثين 61/4.
- (3) لم يخرج الزيلعي.
- (4) الحاكم في المستدرک 15/4.
- (5) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير سورة التحريم باب: ﴿ها أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك...﴾ (الحديث رقم: 4912)، ومسلم في كتاب: الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (الحديث رقم: 20 - 1474).
- (6) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلاة والآداب، باب: فضل من يموت له ولد فيحتسبه (الحديث رقم: 150 - 2632).
- (7) حديث أبي بكر رواه ابن أبي شيبة 74/5 كتاب: الطلاق باب: الحرام يمين وحديث عمر رواه ابن أبي شيبة 73/5 كتاب: الطلاق باب: الحرام يمين وحديث ابن عباس رواه مسلم في كتاب: الطلاق باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته... (الحديث رقم: 18 - 1473)، وحديث ابن مسعود رواه عبد الرزاق في المصنف 401/6 (الحديث رقم: 11364)، وحديث زيد لم يخرج الزيلعي.
- (8) رواه عبد الرزاق في المصنف 404/6 (الحديث رقم: 11390).
- (9) سورة النحل، الآية: 116.
- (10) سورة العائدة، الآية: 87.
- (11) سورة القصص، الآية: 12.

= غير، وقد يكون مؤكداً باليمين مع اعتقاد حله، وهذا مباح صرف حلال محض، ولو كان على العن ترك المباح والامتناع منه غير مباح ستحللت حقيقة الحال بلا إشكال، فإذا علمت بون ما بين القسمين فعلى القسم الثاني تحمل الآية والتفسير الصحيح يعضد. فإن النبي ﷺ حلف بالله «لا أقرب مارية»، ولما نزلت الآية كفر ع، ويمينه، ويدل عليه ﴿قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم﴾ وقال مالك في المدونة عن زيد بن أسلم: إنما كفر النبي ﷺ في تحريمه أم ولده؛ لأنه حلف أن لا يقربها، ومثله عن الشعبي، وهذا المقدر مباح ليس في ارتكابه جناح، وإنما قيل له: ﴿لم تحرم ما أحلّ الله لك﴾ رفقاً به وشفقة عليه، وتنوياً لقره ولمنصبه ﷺ أن يراعى مرضات أزواجه بما يشق عليه، جرياً على ما ألف من لطف الله تعالى بنبهيه، ورفع عن أن يخرج بسبب أحد من البشر الذين هم أتباعه، ومن أجله خلقوا ليظهر الله كمال نبوته بظهور نقصانهم عنه، والزمخشري قطعاً لم يحمل التحريم على هذا الوجه؛ لأنه جعل زلة فيلزمه أن يحمله على المحمل الأوّل، ومعاذ الله وحاش لله وأنّ أحاد المؤمنين حاشى عن أن يعتقد تحريم ما أحلّ الله له، فكيف لا يربا بمنصب النبي ﷺ عما يرتفع عنه منصب عامة الأمة، وما هذه من الزمخشري إلا جراءة على الله ورسوله، وإطلاق القول من غير تحرير، وإبراز الرأي الفاسد بلا تخمير، نعوذ بالله من ذلك، وهو المسؤول أن يجعل وسيلتنا إليه تعظيماً لنبينا صلوات الله عليه، وإن يجنبنا خطوات الشيطان ويقلنا من عثرات اللسان آمين.

منعناه منها وظاهر قوله تعالى: ﴿قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم﴾ أنه كانت منه يمين.

فإن قُلْتُ: هل كفر رسول الله ﷺ لنلك؟ قُلْتُ: عن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفوراً له ما تقدم من نبيه وما تأخر⁽¹⁾ وإنما هو تعليم المؤمنين، وعن مقاتل أن رسول الله ﷺ أعتق رقبة في تحريم مارية⁽²⁾.

﴿والله مولاكم﴾ سيديكم ومتولي أموركم ﴿وهو للعليم﴾ بما يصلحكم فيشرعه لكم ﴿الحكيم﴾ فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجه الحكمة، وقيل: مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم.

وَأَمَّا أَسْرَ النَّبِيِّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَبِيْبًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَطَهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْمَلِيْهُ الْحَبِيْبُ (٣).

﴿بعض أزواجه﴾ حفصة والحديث الذي أسر إليها حديث مارية. وإمامة الشيخين ﴿نبات به﴾ أفضته إلى عائشة وقرى أنبات به ﴿وأطهره﴾ وأطلع النبي عليه السلام ﴿عليه﴾ على الحديث أي: على إفشائه على لسان جبريل، وقيل: أظهر الله الحديث على النبي ﷺ من الظهور ﴿عرف بعضه﴾ أعلم ببعض الحديث تكريماً، قال: سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام، وقرى: عرف بعضه أي: جاز عليه من قولك للمسيء: لا تعرفن لك ذلك، وقد عرفت ما صنعت، ومنه أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن. وكان جزاؤه تطليقه إياها وقيل: المعرف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية، وروي أنه ﷺ قال لها: «الم أقل لك أكتمي علي»، قالت: والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحاً بالكرامة التي خص الله بها إياها.

فإن قُلْتُ: هلا قيل: فلما نبات به بعضهن وعرفها بعضاً! قُلْتُ: ليس الغرض بيان من المذاع إليه ومن المعروف وإنما هو نكر جنابية حفصة في وجود الإنباء به وإفشائه من قبلها، وأن رسول الله ﷺ بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلا الإعلام ببعضه وهو حديث الإمامة الا ترى أنه لما كان المقصود في قوله: ﴿فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا﴾⁽³⁾ نكر المنبأ كيف أتى بضميره.

إِنْ نُبِّئَ إِلَى اللَّهِ فَدَّ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَطَهَّرْنَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَانَا وَجِبْرِيلُ وَمَسِيحُ الْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤).

﴿إن تنوبوا﴾ خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما، وعن ابن عباس: لم ازل

حريصاً على أن أسال عمر عنهما حتى حج وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل وعلت معه بالإداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت: من هما؟ فقال: عجبا يا ابن عباس. كأنه كره ما سألته عنه، ثم قال: هما حفصة وعائشة⁽⁴⁾ ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله ﷺ من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه، وقرأ ابن مسعود: فقد زاغت ﴿وإن تظاهرا﴾ وإن تعالونا ﴿عليه﴾ بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره فلن يعدم هو من يظاهرة، وكيف يعلم المظاهر من الله مولاة أي: وليه وناصره، وزيادة هو إيدان بان نصرته عزيمة من عزائمته وأنه يتولى نلك بذاته. ﴿وجبريل﴾ رأس الكروبيين وقرن نكره بنكره مفرداً له من بين الملائكة تعظيماً له وإظهاراً لمكانته عنده ﴿وصالح للمؤمنين﴾ ومن صلح من المؤمنين يعني: كل من آمن وعمل صالحاً، وعن سعيد بن جبير: من برئ منهم من النفاق وقيل: الأنبياء، وقيل: الصحابة، وقيل: الخلفاء منهم.

فإن قُلْتُ: صالح المؤمنين واحد أم جمع؟ قُلْتُ: هو واحد أريد به الجمع، كقولك: لا يفعل هذا الصالح من الناس، تريد الجنس كقولك: لا يفعله من صلح منهم، ومثله قولك: كنت في السامر والحاضر، ويجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ نون وضع الخط ﴿والملائكة﴾ على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم ﴿بعد نلك﴾ بعد نصرته الله وناموسه وصالحه المؤمنين ﴿ظهير﴾ فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاينيه، فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه.

فإن قُلْتُ: قوله بعد نلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرته الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرته الله تعالى اعظم واعظم! قُلْتُ: مظاهرة الملائكة من جملة نصرته الله فكانه فضل نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته تعالى لفضلهم على جميع خلقه. وقرى: تظاهرا وتظاهرا وتظاهرا.

عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّفَكُمُ أَنْ يَبْدِلَهُ أَرْزَابًا خَيْرًا يَكُنَّ مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ قَلِيلًا مِّنْ عِبَادٍ سَاجِدِينَ وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي صَدَقَاتِكُمْ وَأَنَّا لَمَبْصُورُونَ (٥).

قرى: يبده بالتخفيف والتشديد للكثرة ﴿مسلمات مؤمنات﴾ مقرات مخلصات ﴿سائحات﴾ صائحات وقرى: سائحات، وهي أبلغ. وقيل للصائم: سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكاً إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به

(1) أخرجه أبو داود في المراسيل، باب في الحرام (الحديث رقم: 240).

(2) لم يخرج الزيلعي، وقال المحقق ورد من حديث انس عن ابن مردويه راجع الدر المنثور 240/6، [64/4].

(3) سورة التحريم، الآية: 3.

(4) أخرجه البخاري في كتاب المظالم باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها (الحديث رقم: 2468).

مَعًا عَلَى لَفْظِ الْمَخَاطَبِ ﴿نَارًا وَقُودًا النَّاسَ وَالْحِجَارَةَ﴾ نَوْعًا مِنَ النَّارِ لَا يَتَقَدُّ إِلَّا بِالنَّاسِ وَالْحِجَارَةِ كَمَا يَتَقَدُّ غَيْرَهَا مِنَ النَّيِّرَانِ بِالْحَطْبِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هِيَ حِجَارَةُ الْكَبْرِيتِ وَهِيَ أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ حَرًّا إِذَا أُوقِدَ عَلَيْهَا وَقُرَى وَقُودَهَا بِالضَّمِّ أَي: نُو وَقُودَهَا ﴿عَلَيْهَا﴾ يَلِي أَمْرَهَا وَتَعْنِيبُ أَهْلِهَا ﴿مَلَأْتُكَ﴾ يَعْنِي: الزَّبَانِيَةَ التَّسْعَةَ عَشَرَ وَأَعْوَانَهُمْ ﴿غَلَّظْتُ شِدَادَهُ﴾ فِي أَجْرَامِهِمْ غَلْظَةً وَشِدَّةً أَي: جَفَاءً وَقَوَّةً أَوْ فِي أَعْقَالِهِمْ جَفَاءً وَخَشُونَةً لَا تَأْخُذُهُمْ رَافَةٌ فِي تَنْفِيزِ أَوْامِرِ اللَّهِ وَالغَضَبُ لَهُ وَالإِنْتِقَامُ مِنْ أَعْدَائِهِ ﴿مَا أَمْرُهُمْ﴾ فِي مَحَلِّ النَّصَبِ عَلَى الْبَدَلِ أَي: لَا يَعْصُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَي: أَمْرُهُ كَقَوْلِهِ: أَفْعَصَيْتُ أَمْرِي أَوْ لَا يَعْصُونَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ.

فَإِنْ قُلْتُ: أَلَيْسَتِ الْجَمْلَتَانِ فِي مَعْنَى وَاحِدَةٍ؟ قُلْتُ: لَا فَإِنَّ مَعْنَى الْأُولَى أَنَّهُمْ يَتَقَبَّلُونَ أَوْامِرَهُ وَيَلْتَزِمُونَهَا وَلَا يَأْتُونَهَا⁽⁴⁾ وَلَا يَنْكُرُونَهَا وَمَعْنَى الثَّانِيَةِ أَنَّهُمْ يُؤَدُّونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ لَا يَتَنَاقَلُونَ عَنْهُ وَلَا يَتَوَانُونَ فِيهِ.

فَإِنْ قُلْتُ: قَدْ خَاطَبَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ بِالْوَحْيِ بِهَذَا بَعِينِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾⁽⁵⁾ وَقَالَ: ﴿أَعَدْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾⁽⁶⁾ فَجَعَلَهَا مَعْدَةً لِلْكَافِرِينَ فَمَا مَعْنَى مَخَاطَبَتِهِ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قُلْتُ: الْفَسَاقُ وَإِنْ كَانَتْ دَرَكَاتِهِمْ فَوْقَ دَرَكَاتِ الْكُفَّارِ فَإِنَّهُمْ مَسَاكُونَ الْكُفَّارِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ فَقِيلَ: لِلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ بِاجْتِنَابِ الْفُسُوقِ مَسَاكِنَةَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَعَدَّتْ لَهُمْ هَذِهِ النَّارَ الْمَوْصُوفَةَ وَيُوجِزُ أَنْ يَأْمُرَهُمُ بِالتَّوْقِي مِنَ الْإِرْتِدَادِ وَالنَّدَمِ عَلَى النُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَنْ يَكُونَ خَطَابًا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالسَّنْتِمْ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ وَيَعْضُدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى عَلَى أَثَرِهِ.

يَأْتِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَنْدَرُوا أَيُّومًا إِنَّمَا نَحْنُرُونَ مَا كُنتُمْ تَسْلُونَ ﴿٧﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا لِلْيَوْمِ إِنَّمَا تَجَزُونَ﴾ إِنَّمَا تَجَزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ أَي: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عِنْدَ نَسْخِ الْوَعْدِ لَا تَعْتَدُوا لِأَنَّهُ لَا عَذْرَ لَكُمْ أَوْ لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ الْإِعْتِدَارُ.

الصَّائِمِ فِي إِسْمَاكَه إِلَى أَنْ يَجِيءَ وَقْتُ إِفْطَارِهِ، وَقِيلَ: سَائِحَاتٌ مَهَاجِرَاتٌ. وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ لَمْ تَكُنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ سِيَاحَةً إِلَّا الْهَجْرَةَ.

فَإِنْ قُلْتُ: كَيْفَ تَكُونُ الْمَبْدَلَاتُ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نِسَاءً خَيْرًا مِنَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قُلْتُ: إِذَا طَلَقَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ لِعَصِيَانَتِهِنَّ لَهُ وَإِيذَانَتِهِنَّ إِيَّاهُ لَمْ يَبْقَيْنَ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ وَكَانَ غَيْرُهُنَّ مِنَ الْمَوْصُوفَاتِ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ مَعَ الطَّاعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّزُولِ عَلَى هَوَاهُ وَرِضَاهُ خَيْرًا مِنْهُنَّ، وَقَدْ عَرَضَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: قَانَتَاتٌ لِأَنَّ الْقَنُوتَ هُوَ الْقِيَامُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ اللَّهِ فِي طَاعَةِ رَسُولِهِ.

فَإِنْ قُلْتُ: لَمْ أَخْلِيَتِ الصِّفَاتُ كُلَّهَا عَنِ الْعَاطِفِ⁽¹⁾ وَوَسَطَ بَيْنَ الشَّيْبَاتِ وَالْأَبْكَارِ؟ قُلْتُ: لِأَنَّهُمَا صِفَتَانِ مُتَنَافِيَتَانِ لَا يَجْتَمِعْنَ فِيهِمَا اجْتِمَاعَهُنَّ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ فَلَمْ يَكُنْ بَدٌّ مِنَ الْوَاوِ.

يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا قَرَأَ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُوا نَارًا وَقُودَهَا النَّاسَ وَالْحِجَارَةَ عَلَيْهَا مَبِيكَةٌ غَلَّظْتُ شِدَادًا لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٨﴾.

﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بِتَرْكِ الْمَعَاصِي وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بَانَ تَأْخُذُهُمْ بِمَا تَأْخُذُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ وَفِي الْحَدِيثِ رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَالَ: يَا أَهْلَاهُ صَلَاتِكُمْ صِيَامِكُمْ زَكَاةِكُمْ مَسْكِينَتِكُمْ يَتِيمَتِكُمْ جِيرَانِكُمْ لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُهُمْ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ⁽²⁾ وَقِيلَ: إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ جَهِلَ أَهْلَهُ وَتَرَى: وَأَهْلُوكُمْ⁽³⁾ عَطْفًا عَلَى وَأَوْقُوا وَحَسَنَ الْعَطْفِ لِلْفَاصِلِ.

فَإِنْ قُلْتُ: أَلَيْسَ التَّقْدِيرُ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَلِيَقِ أَهْلُوكُمْ أَنْفُسَهُمْ؟ قُلْتُ: لَا وَلَكِنْ الْمَعْطُوفُ مَقَارِنُ فِي التَّقْدِيرِ لِلْوَاوِ وَأَنْفُسَكُمْ وَاقِعَ بَعْدَهُ فَكَانَهُ قِيلَ: قُوا أَنْتُمْ وَأَهْلُوكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَمَّا جَمَعْتَ مَعَ الْمَخَاطَبِ الْغَائِبِ غَلْبَتَهُ عَلَيْهِ فَجَعَلْتَ ضَمِيرَهَا

(1) قال أحمد: وقد نكر لي الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله أنَّ

(2) قال الزيلعي غريب 66/4.
(3) قال أحمد: ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو، وأنفسكم واقع بعده، كأنه قال: قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم، ولكن لما اجتمع ضمير المخاطب والغائبين غلب ضمير الخطاب على ضمير الغيبة. ثم قال: فإن قلت قوله: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ليس الجملة في معنى واحد؟ وأجاب: بأن معنى الأولى أنهم يلتزمون الأوامر ولا يأتونها.

(4) قال أحمد: جوابه الأول مفرع على قاعدته الفاسدة في اعتقاد خلود الفساق في جهنم، ولعله إنما أورد السؤال ليتكلف عنه بجواب ينفس عما في نفسه مما لا يطبق كتمان من هذا الباطل، نعوذ بالله منه، وإلا فالسؤال غير وارد، فإنه لا يمتنع أن المؤمن يحذر من عذاب الكافر أن يناله على الإيمان، كقوله في آل عمران خطاباً للمؤمنين: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾.

(5) سورة البقرة، الآية: 24.

(6) سورة البقرة، الآية: 24.

القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب رحمه الله كان يعتقد أنَّ الواو في الآية هي الواو التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الذمائية؛ لأنها تكررت مع الصفة الثامنة، فكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة صلة أحدها الذي في الصفة الثامنة من قوله: ﴿التائبون العابدون﴾ عند قوله: ﴿الناهون عن المنكر﴾ والثانية في قوله: ﴿وثامنهم كلبهم﴾ والثالثة في قوله: ﴿ورفحت أبوابها﴾ قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب: ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه، إلى أن نكره يوماً بحضرة أبي الجود النحوي المقرري فبين له أنه واهم في عدها من ذلك القبيل، وأحال البيان على المعنى الذي نكره المرخشري من دعاء الضرورة إلى الإتيان بها ههنا، لامتناع اجتماع الصفتين في موصوف واحد، وواو الثمانية إن ثبتت فإنما تزج. بحيث لا حاجة إليها إلا للإشعار بتمام نهاية العدد الذي هو السبعة، فانصفت الفاضل رحمه الله واستحسن ذلك منه، وقال: أرشدتنا يا أبا الجود.

نورهم ﴿ على الصراط ﴾ ﴿اتمم لنا نورنا﴾ قال ابن عباس: يقولون ذلك: إذا طفت نور المنافقين إشفاقاً، وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقرباً إلى الله كقوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك﴾ (١) وهو مغفور له وقيل: يقوله أبناهم منزلة لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لأن النور على قدر الأعمال فيسألون إتمامه تفضلاً وقيل: السابقون إلى الجنة يمرّون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبواً وزحفاً فأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا.

فإن قلت: كيف يشفقون والمؤمنون آمنون أم من يأتي أمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الأكبر أو كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب؟ قلت: أما الإشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وإن كانوا معتقدين الأمن وأما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقرباً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهَدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَقْ عَلَيْهِمْ وَأَرْبِهِمْ جَهَنَّمَ وَيَسِّرْ لِمُؤْمِنِي ۝١٠٠

﴿جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ بالاحتجاج. واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدما به من القتال والمحاجة، وعن قتادة مجاهدة المنافقين لإقامة الحدود عليهم، وعن مجاهد بالوعيد وقيل: بإفشاء أسرارهم. مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمه نسب أو وصلة صهر لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل، وجعلهم أبعد من الأجنب وأبعد، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً من أنبياء الله بحال.

مَرَبَّ اللَّهِ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٌ نُّوحٌ وَأَمْرَاتٌ لُوطٌ كَاتَنَّا نَحْتَّ عِبْدِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَخَافْتَاهُمَا فَرَّ يَنْبِئًا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَ قَدِيرٍ وَقِيلَ أَذْخَلْنَاكَ مَعَ الْذَّاكِرِينَ ۝١٠١

امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله. ﴿وقيل﴾: لهما عند موتها أو يوم القيامة ﴿الذخلة النار مع﴾ سائر ﴿الذَّاكِرِينَ﴾ الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخلها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط. ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئاً من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظيمة. ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة النبيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفاراً، وفي طي هذين التمثيلين

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاتَّقِنَا لَنَا إِنَّكَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ۝٨٠

﴿توبة نصحاً﴾ وصفت التوبة بالنصح على الإنسان المجازي والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فياتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسياة وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبها نامين عليها مغتمين أشد الإغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعيدون في قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبث في الضرع موطنين أنفسهم على ذلك، وعن علي رضي الله تعالى عنه أنه سمع أعرابياً يقول: اللهم إنني أستغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين، قال: وما التوبة، قال: يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تنيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تنيقها مرارة الطاعات كما انتقتها حلالة المعاصي، وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه، وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو خذ بالسيف وأحرق بالنار، وعن ابن السماك أن تنصب الذنب الذي أقلت فيه الحياء من الله أمام عينك ويستعد لمنتظرك وقيل: توبة لا يتاب منها، وعن السدي لا تصح التوبة إلا بنصيحة النفس والمؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله وقيل: نصحاً من نصيحة الثوب أي: توبة توفر خروك في دينك وترم خلك وقيل: خالصة من قولهم: غسل ناصح إذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي: تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجِدِّ والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي توبياً نصحاً وقرئ: نصحاً بالضم هو مصدر نصح والنصح والنصح كالشكر والشكور والكفر والكفور أي: ذات نصح أو تنصح نصحاً أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له ﴿عسى ربكم﴾ إطماع من الله لعباده وفيه وجهان أحدهما أن يكون على ما جرت به عادة الجبابة من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني أن يجيء به تعليماً للعباد وجوب الترجيح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الأول وأنه في معنى البت قراءة ابن أبي عملة ويدخلكم بالجزم عطفاً على محل عسى أن يكفر كأنه قيل: توبوا يوجب لكم تكفير سيئاتكم ويدخلكم ﴿يوم لا يخزي الله﴾ نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحمام إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم ﴿يسعى

فرفعها إلى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها، وقيل: لما قالت: ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾. أريت بينها في الجنة يبني، وقيل: إنه من ذرة، وقيل: كانت تعذب في الشمس فتظللها الملائكة.

فإن قلنت: ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة؟ **قلت:** طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها: في الجنة، أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جننتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها: عندك ﴿من فرعون وعمله﴾ من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانة الغشوم وخصوصاً من عمله وهو الكفر وعبادة الأصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ﴿ونجني من القوم الظالمين﴾ من القبط كلهم، وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومستلثة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء والمرسلين. الآية ﴿فافتح ببني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين﴾⁽³⁾. ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾⁽⁴⁾.

وَمَرْبِ آتَى عَمْرَأَ آتَى أَحَصَّتْ فَرَجَهَا فَتَحَسْنَا فَيَوْمَ رُوحِنَا
وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ، وَكَانَتْ مِنَ الْكَاثِبِينَ ﴿٧﴾.

﴿فيه﴾ في الفرج وقرأ ابن مسعود: فيها، كما قرئ في سورة الأنبياء والضمير للجملة. وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفسير أن الفرج هو جيب الدرع، ومعنى أحصنته منعه جبريل، وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للأرامل وتطليبا لأنفسهن ﴿وصدقت﴾ قرئ: بالتشديد والتخفيف، على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة. يعني: وصفتها بالصدق، وهو معنى التصديق بعينه.

فإن قلنت: فما كلمات الله وكتبه؟ **قلت:** يجوز أن يراد بكلماته صفحه التي أنزلها على إدريس وغيره سماها كلمات لقصرها⁽⁵⁾، وكتبته الكتب الأربعة وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم، وجميع ما كتبه في اللوح وغيره، وقرئ: بكلمة الله وكتابه أي: بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل.

فإن قلنت: لم قيل: ﴿من القانتين﴾ على التنكير؟ قلت: لأن القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكره

تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه لما في التمثيل من نكر الكفر ونحوه في التخليط قوله تعالى: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾⁽¹⁾ وأشار إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين، والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفضت عليه كما أفضت حفصة على رسول الله، وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حداً يبق عن تفتن العالم ويزل عن تبصره.

فإن قلنت: ما فائدة قوله: من عبادنا؟ **قلت:** لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الإنسان كائناً من كان وأنه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله، قال: عبيد من عبادنا صالحين فنكر النبيين المشهورين العلمين بأنهما عبادان لم يكونا إلا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم إلا بالصلاح وحده إظهاراً وإبانة، لأن عبداً من العباد لا يرجح عنده إلا بالصلاح لا غير وأن ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب المرجحان عنده.

فإن قلنت: ما كانت خيانتها؟ **قلت:** نفاقها وإبطانها الكفر وتظاهرها على الرسولين. فامرأة نوح قالت لقومه: إنه مجنون وامرأة لوط نلت على ضيفانه، ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر، فإن الكفار لا يستسمجون بل يستحسنونه ويسمرنه حقاً.

وَمَرْبِ آتَى مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِدَاةً بَيْنَا فِي الْآجِنَةِ وَيَجْعَلْ مِن فِرْعَوْنَ وَوَجْهِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾.

وثن ابن عباس رضي الله عنهما: «ما بغت امرأة نبي قط. وامرأة فرعون أسيبة بنت مزاحم»⁽²⁾. وقيل: هي عمة موسى عليه السلام أمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الإفك فعذبها فرعون. عن أبي هريرة أن فرعون وتد امراته بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وأضجعها على ظهرها ووضع رحي على صدرها، وقيل: أمر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة، فدعت الله فرقى بروحها، فالقيت الصخرة على جسده لا روح فيه، وعن الحسن: فنجها الله أكرم نجاة

= حصراً بقوله: جميع وآين، وصفه لها بالقصر. والحصر من الأبتين التوامتين اللتين إحداهما قوله: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ والأخرى قوله: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآية، وما هو في الحقيقة إلا غير مؤمن بكلمات الله تعالى، فالحق أن كلام الله تعالى صفة. ن صفات كماله أزلية أبدية غير متناهية، فهكذا أمنت امرأة فرعون المعتلو شأها في كتاب الله العزيز، ثبتنا الله على الإيمان ووقانا الخذلان، والله المستعان.

(1) سورة آل عمران، الآية: 97.

(2) رواه عبد الرزاق في تفسيره والزليعي 66/4.

(3) سورة الشعراء، الآية: 118.

(4) سورة يونس، الأيتان: 85 - 86.

(5) قال أحمد: هو يعتقد حدوث كلام الله ويجحد الكلام القديم، فلا جرم أن كلامه لا يعدو الإشعار بأن كلمات الله متناهية؛ لأنه في الوجه الأول جعلها مجموعة جمع قلة لقصرها، وفي الثاني =

وحياتكم أيها المكلفون ﴿لبيلوكم﴾ ويسمى علم الواقع منهم باختبارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر ونحوه قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم﴾ (4).

فإن قُلْتُ: من أين تعلق قوله: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ بفعل البلوى؛ قُلْتُ: من حيث أنه تضمن معنى العلم⁽⁵⁾، فكأنه قيل: ليعلمكم أيكم أحسن عملاً، وإذا قلت: علمته أزيد أحسن عملاً أم هو، كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول: علمته هو أحسن عملاً.

فإن قُلْتُ: تسمى هذا تعليقا؟ قُلْتُ: لا إنما التعليق أن توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعاً كقولك: علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق. ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدراً بحرف الاستفهام وغير مصدر به، ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك: علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقاً أحسن عملاً. قيل: أخلصه وأصوبه، لأنه إذا كان خالصاً غير صواب لم يقبل وكذلك إذا كان صواباً غير خالص. فالخالص أن يكون لوجه الله تعالى، والصواب أن يكون على السنة، وعن النبي ﷺ أنه تلاها فلما بلغ قوله: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾. قال: أيكم أحسن عملاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله⁽⁶⁾. يعني: أيكم أتم عقلاً عن الله وفهماً لا غرضه، والمراد أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه، وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه، وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم ﴿وهو العزيز﴾ الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل ﴿الغفور﴾ لمن تاب من أهل الإساءة.

الَّذِي خَلَقَ سَخِّ سَوَّوَيَ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَرَجَّحَ الْبَسَرَ هَلْ تَرَى مِن نُّطُورٍ (3).

﴿طِبَاقًا﴾ مطابقة بعضها فوق بعض من طباق النعل إذا خصفها طباقاً على طبق، وهذا وصف بالمصدر، أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقاً ﴿من تفاوت﴾ وقرئ: من تفاوت، ومعنى البناءين واحد كقولهم: تظاهروا من نسائهم

على إنائه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لأنها من أعقاب هرون أخي موسى صلوات الله عليهما، وعن النبي ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: أسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»⁽¹⁾. وأما ما روي أن عائشة سألت رسول الله ﷺ: كيف سمى الله المسلمة - تعني مريم - ولم يسم الكافرة؟ فقال: بغضاً لها، قالت: وما اسمها؟ قال: اسم امرأة نوح واهلة، واسم امرأة لوط واهلة. فحديث أثر الصنعة عليه ظاهر بين، ولقد سمى الله تعالى جماعة من الكفار بأسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمي أسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وأبى الله إلا أن يجعل للمصنوع امرأة تنم عليه وكلام رسول الله ﷺ أحكم وأسلم من ذلك. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحاً»⁽²⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الملك مكية

بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ أَلْمُوكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1).

﴿تبارك﴾ تعالى وتعظيم عن صفات المخلوقين ﴿الذي بيده الملك﴾ على كل موجود ﴿وهو على كل﴾ ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة ﴿قدير﴾ وذكر اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه. والحياة ما يصح بوجوده الإحساس، وقيل: ما يوجب كون الشيء حياً وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر.

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْقَوِيُّ (2).

والموت عدم تلك⁽³⁾ فيه، ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصصح وإعدامه، والمعنى خلق موتكم

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، (الحديث رقم: 7114)، وأخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رضي الله عنها (الحديث رقم: 3719)، وأبو نعيم في الحلية 99/5.

(2) سورة محمد، الآية: 31.

(3) قال أحمد: التعليق عن أحد المفعولين مختلف فيه بين النحاة والأصح ما أجازه، وهو في هذا الفن بمشي، وفيه يدرج ويدي كيف يدخل فيه ويخرج.

(4) تقدم تخريجه سابقاً.

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، (الحديث رقم: 7114)، وأخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رضي الله عنها (الحديث رقم: 3719)، وأبو نعيم في الحلية 99/5.

(2) رواه الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم والزبيعي 4/68.

(3) قال أحمد: أخطأ في تفسير الموت دينه المعروف أن يفسر ويتبع التفسير آراء القدرية، ومنها قطع الله نكرها: أن الموت عدم وهو خطأ صراح، ومعتقد أهل السنة أنه أمر وجودي يضاد الحياة،